

البحث الوثائقي في الترجمة التعليمية: نحو تحسين جودة التكوين لطلبة أقسام اللغة الفرنسية

دراسة تطبيقية في قسم اللغة الفرنسية بجامعة أم البواقي - الجزائر

Documentary Research in Pedagogical Translation: Towards Enhancing Translation Quality and Language Competence of French Language Students - An Applied Study in the Department of French Language at the University of Oum El Bouaghi- Algeria

أمير مجرالي¹، د. حنان رزيق

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، amire.medjeralli@univ-alger2.dz

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، hanane.rezig@univ-alger2.dz

تاريخ النشر 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/29

تاريخ الاستلام: 2024/03/30

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى زيادة الوعي بضرورة الاهتمام بالبحث الوثائقي من خلال تسليط الضوء على واقع تدريس الترجمة التعليمية في قسم اللغة الفرنسية لغة أجنبية. من أجل ذلك قمنا بدراسة ميدانية مكنتنا من قياس مدى تأثير البحث الوثائقي في جودة الترجمة. وتناولنا تحليل ترجمتين لنص من قبل مجموعة من طلبة السنة الثالثة ليسانس في شعبة اللغة الفرنسية بجامعة أم البواقي. وأظهرت النتائج أن نوعية الترجمة تختلف اختلافا كبيرا عند تدخل البحث الوثائقي في العملية. كما أظهرت الدراسة أيضا أن أثر البحث الوثائقي لا يقتصر على المستوى المعجمي (المفردات) فحسب، بل تعداه إلى المستوى النحوي (التركيب) وانعكس ذلك على جودة التعبير الكتابي الذي يُعد من أهم أهداف الترجمة التعليمية في برامج تعلم اللغات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية : البحث الوثائقي - الترجمة - الترجمة التعليمية - جودة الترجمة

¹ المؤلف المرسل: أمير مجرالي

Abstract :

This study investigates the influence of documentary research on translation quality within a pedagogical context. Focusing on French language learning at the University of Oum El Bouaghi, a field study was conducted to analyze the impact of documentary research on undergraduate students' translations. Third-year students translated the same text, with one group incorporating documentary research as part of the process. The analysis revealed a significant improvement in translation quality when documentary research was employed. This improvement extended beyond lexical accuracy (terminology) to encompass syntactic fidelity (sentence structures). Consequently, the study suggests that documentary research contributes to achieving a key objective of pedagogical translation – enhancing the quality of written language expression in foreign language learning programs.

Keywords: documentary research - translation quality – pedagogical translation - foreign language learning

1. مقدمة :

يُجْمِعُ المشتغلون بدراسات الترجمة، اليوم، على أنَّ التَّمَكُّن من اللُّغات غيرُ كافٍ إطلاقاً لإنتاج ترجمة جيِّدة ومُرضية. بلْ يَنْبَغِي على المُقَدِّم على الترجمة أنْ يكون مُحِيطاً بموضوع النِّص محلَّ الترجمة إحاطةً كافيةً تُمكنه من فهمه ومن ثَمَّةِ إعادةِ صياغةِ أفكاره بسلاسة في اللغة المنقول إليها.

ومهما بَلَغَ باعُ المترجم في سَعَةِ الاطِّلاع في مختلف المجالات والمواضيع، يَبْقَى البحثُ الوسيلةَ الناجعةَ دائماً وأبداً لتخطي عَقَبَات ترجمة النِّصوص أيّاً كان نوعُها. صحيحٌ أنَّ صعوبةَ فهمِ النِّص تختلف من نوعٍ إلى آخر، إلَّا أنَّ التَّجربةَ والممارسةَ والكثيرَ من الدِّراسات أثبتت أنَّ لا نصَّ سهلٍ ولا نصَّ خالٍ من الصَّعوبات سواءً من جهة اللغة، مِنْ أَلْفَاظٍ وتراكيب، أو من جهة العناصر المعرفية والثقافية. ومنْ هُنَا تأتي أهميةُ البحثِ الوثائقي أثناء عمليةِ الترجمة. لقدْ عالجَ المشتغلون بالترجمة، لا سيَّما المُهْتَمِّين منهم بتدريسها، موضوعَ البحثِ الوثائقي بما يكفي - حسب رأينا - باعتباره مرحلةً مُهمَّةً في عمليةِ الترجمة. وأكَّدوا - جميعُهم - على أهميةِ البحثِ الوثائقي في الترجمة لما يُقدِّمه من خدمةٍ كبيرةٍ سواءً من حيثِ تذليلِ صعوبات فهمِ النِّصِّ الأَصْل في اللغة المنقول منها أو من حيثِ تسهيلِ عمليةِ إعادةِ التعبيرِ عن الأفكار في اللغة المنقول إليها. لذلك لَسْنَا نَهدفُ ببحثنا هذا إلى بيانِ أهميةِ البحثِ

الوثائقي ولا اقتراح منهجية له ولا تقديم حلول لمشاكل تُعرفه، فقد سبقنا إلى هذا وكُفينا. وإنما نَسعى إلى تسليط الضوء على جانب خفي من الموضوع - حسب رأينا - لم يُطرق بعد.

لأن جميع الدراسات - وفق اطلاعنا - انحصرت في إطار تعليم الترجمة الاحترافية أو المهنية "traduction professionnelle". على غرار ك. دوريو Durieux، د. جيل Gile، د. غواداك Gouadec، ف. بلاسار Plassard... ولم نَقِفْ بعد على دراسة واحدة تناولت البحث الوثائقي وعلاقته بالترجمة التعليمية "traduction didactique". أي تلك المادة التي تُدرس في أقسام اللغات الأجنبية. وبالرغم من كون العملية في نهاية المطاف نفسها في كلا النوعين، إلا أنهما يفتقان في الأهداف. ولا يخفى أثر تحديد أهداف الدرس في مساره ومراحله ومحتواه، كما سنبيّنه لاحقاً بالتفصيل.

وانطلاقاً مما عايناه خلال مسارنا الدراسي وكذا ممارستنا الترجمة من جهة، حيث لاحظنا تفاوتاً كبيراً بين الترجمة التي يستعين فيها المترجم بالبحث وتلك التي لا يستعين فيها، سواء المترجمون المحترفون أو الطلبة الجامعيون، ومن خلال تدريسنا لمادة الترجمة التعليمية في قسم اللغة الفرنسية في الجامعة، حيث لاحظنا غياباً تاماً لفكرة البحث الوثائقي أثناء الترجمة لدى طلبة اللغات الأجنبية وحتى عند بعض الأساتذة عندما قمنا بالتقصي في الدروس المقدمة خاصة تلك التي نُشرت في مواقع التعليم عن بعد التابعة للجامعات الجزائرية، أو ما استشفقنا من محادثاتنا معهم حول قضايا تعليمية المادة. إضافة إلى ما اطلعنا عليه من أبحاث ودراسات أُجريت حول الموضوع، جاءت فكرة دراسة حول البحث الوثائقي في درس الترجمة التعليمية من خلال إجراء تجربة ميدانية تحمل الإجابة عن تساؤل

مفاده : ما مدى إسهام البحث الوثائقي في جودة الترجمة لدى طلبة اللغة الفرنسية لغة أجنبية؟

على أن يكون تركيزنا أكثر على أثره في كفاءة التعبير الكتابي التي تتجلى في صياغة النص المترجم.

وتتخلل هذه الإشكالية تساؤلات فرعية مكملتها :

- هل يقتصر أثر البحث الوثائقي في الترجمة التعليمية فقط في مرحلة الفهم أم إنه يتعدى إلى مرحلة إعادة

الصياغة؟

- ما واقع البحث الوثائقي في درس الترجمة التعليمية في الجامعة الجزائرية؟ أي وجوداً وعدماً.

- هل لدى أساتذة الترجمة في أقسام اللغات الأجنبية وعي بأهميته في عملية الترجمة؟

وتمثابة إجابة مُسبقة عن التّساؤل الرّئيس والذي سيُنبته أو ينفيه البحث لاحقاً، يمكننا أن نقول أنّ للبحث الوثائقي دورٌ فعّال في تحسين جودة التّرجمة (المنتج) من حيث صياغة النّص سواءً المصطلحات أو التراكيب. لأنّ البحث يُتيح فرصة الاطلاع على المفاهيم التي تحملها المصطلحات فيؤدّي إلى الفهم الصّحيح لها ومنه إلى سهولة إيجاد المُقابلات في اللّغة المنقول إليها. والتّبيّة نفسها فيما يخصّ التّراكيب، إذ يُمكّن الباحث على جمل وعبارات تنتمي إلى لغة التّخصص في موضوع النّص، فيعيد استثمارها أثناء تحرير نصّ التّرجمة النّهائي.

أما عن خطة البحث فارتأينا أن نستهلّه بتعريف الترجمة التعليمية وبيان الفرق بينها وبين التّرجمة الاحترافية من حيث تعليمها، وأهدافها ثمّ تمرّ إلى ماهيّة البحث الوثائقي وأهمّيته في العمليّة التّرجّمية ومنهجيته ومصادره وُصولاً إلى علاقته بالتّرجمة التّعليميّة التي تُجلبها الدّراسة التّطبيقية المُتمثلة في تجربة ميدانية مُقارنة بين ترجمتين لنصّ واحد قام بها طلبة السّنة الثّالثة ليسانس في قسم اللغة الفرنسية بجامعة أم البواقي، الجزائر.

ويسبق ذلك تحليلُ نتائج استبانة وُجّهت لأساتذة المادّة المُمارسين في أقسام اللّغة الفرنسية بعدد من الجامعات الجزائرية. والذي وقّفنا من خلاله على واقع البحث الوثائقي في درس التّرجمة وكذا مدى وغيهم بأهمّيته.

2. الترجمة التعليمية والفرق بينها وبين الترجمة الاحترافية:

الترجمة التعليمية قديمة قَدَمَ مناهج تعليم اللّغات الأجنبية، فقد كانت هي أوّل طريقة أُستعملت في تدريس اللّغة الأجنبية تحت مُسمّى "الترجمة والنحو" *grammaire et traduction*. وبالرّغم من الاستغناء عنها - في الجملة - في تعليمية اللّغات الأجنبية إلّا أنّها ما تزال حاضرة في صورة جزء من البرامج خاصّة في السّنات الأخيرة حيث أصبحت مادّة مُستقلّة في برنامج تعليم اللّغات الأجنبية في الجامعة. وهي كما يدلّ عليها اسمها "تمرين لغوي" يُمارَس بهدف تعلّم لغة أجنبية" (Delisle, 1999, p. 85)

وتختلف الترجمة التعليمية (أو البيداغوجية أو المدرسية أو الجامعية) عن نظيرتها الاحترافية (أو المهنية) أساساً من حيث الأهداف. فالأولى تمرين لغويّ بهدَف تعليم لغة أجنبية، عن طريق إثراء الرّصيد اللغوي بالمُفردات والتراكيب من جهة، والتّحقّق من المُكتسبات ومدى تحكّم المُتعلّم في الكفاءات المختلفة مثل التعبير الكتابي بكُلّ عناصره. إضافة إلى المقارنة بين اللّغتين التي تزيد من فهم المُتعلّم للغة المُتعلّمة، فبالأضداد تتمايز الأشياء.

بينما نهدف الاحترافية إلى تكوين مترجمين يتخذون من الترجمة حرفة ومهنة. فإذا كانت هذه الأخيرة مخصصة للمتعلمين متمكنين ابتداءً من اللغتين، فإن الأولى تشترط تمكن المتعلم من لغته الأولى فحسب، أو كما يسميها "دوليل" Delisle باللغة "الطاغية"، على أن يكون ذا مستوى معين في اللغة الثانية محل التعلم. فالأخيرة "تهدف إلى أداء عملية مقصودة في ذاتها بينما لا تغدو [الأولى] أن تكون اختباراً لكفاءة الفهم وكفاءة التعبير، ضمن نظام تعليمي متكامل". (Delisle, 1980, p. 43)

أما من حيث جوهر العملية الترجمة، فالبؤن أيضاً يبرّز ظاهراً. فالتعليمية مع ما توليه من أهمية بالغة لسياق النص، واعتبار كبير لوضعية التواصل التي هي مفتاح فهم النص، فإنها مع ذلك لا تنفك من الاصطناع والتكلف والبعد عن الواقعية. كيف لا والمترجم المتعلم يوضع بين يديه نص للترجمة ويطلب منه نقله إلى "لغة التعلم" مع التركيز على صحة اللغة بأجزائها. ولا يفارق ذهنه أن المتلقي ليعمله لن يكون سوى ذلك الأستاذ الذي يعرف النص ويعرف ترجمته وسوف لن يقرأه إلا لإعطائه علامة في نهاية المطاف. فكل هذه الظروف تسلب من عملية الترجمة الواقعية ومن المترجم المتعلم الحافز، فتجده غالباً مُصاباً بالملل.

أما الاحترافية فتقترب أكثر من الواقع خاصة إذا اجتهد الأستاذ المكون في توفير تلك الظروف الغائبة عن التعليمية قدر المستطاع. فتجد تركيز المتعلم منصّباً على الإحاطة بالسياق العام والخاص للنص وتُعن النظر في اختياراته ويستشرف أثرها في المتلقي، فتارةً يعود إلى النص الأصل فيستنطق الكلمات والعبارات بحثاً عن مراد كاتبه وتارةً ينتقل إلى مقام المتلقي فيتذوق ما كتبه من زاوية المتلقي البحتة ليبرز في النهاية مدى أمانته من خيانتته. فالفرق يكمن إذاً في "الوظيفة" التي تؤديها كل واحدة منهما. (Durieux, L'enseignement de la traduction : enjeux et démarches, 2005, p. 42)

3. تعريف البحث الوثائقي في الترجمة:

البحث الوثائقي عموماً يعني التّقصي وجمع المعلومات حول موضوع معين بغرض فهمه. ولقطة "الوثائقي" نسبةً إلى "الوثائق"، جمعٌ "وثيقة" والوثيقة "المستند وما جرى هذا المجرى". (الوسيط، 2004، صفحة 1012). وهي حسب رأينا أفضل من لفظة توثيقي لشبوعه ووضوحه كذلك. فعبارة "البحث التوثيقي" غامضة وقد يلبس معناها لأن لفظة "توثيق" تعني تسجيل المعلومات وحفظها.

أما اصطلاحا في مجال الترجمة فيُقصد به البحث في كل ما يمكن أن "يستقي منه المترجم المعارف خارج النص في سبيل فهمه" (Gile, 1994) والوثيقة كلمة لا تقتصر على النصوص المكتوبة، بل هي على العموم فتشمل المكتوب والمسموع والمرئي وكل ما يحمل معلومة تعين على فهم شيء آخر.

والبحث الوثائقي قسمان : متواصل *constante* وآني *ponctuelle* . فالمتواصل يقصد به البحث الذي لا يزال المترجم يمارسه دون انقطاع كالمطالعة اليومية. أما الآني فهو البحث الذي يجريه المترجم عندما يحس أن فهمه غير تام لمفردة أو معنى أو فكرة وردت في نص الترجمة. وقد لا يكون النقص في الباحث، بل لبسٌ يكتنف النص فيرفعه بالبحث.

وينقسم كذلك إلى معجمي ومفاهيمي. فالمعجمي يُعنى "عادة بالبحث عن مقابلات المصطلحات وكذلك عن معانيها". (Gile, 1994) أما المفاهيمي فأوسع من المعجمي بحيث يتعدى الكلمة ومقابلها إلى محاولة استيعاب المفهوم الذي تحمله الكلمة، فيتقنص المترجم دور المتخصص كي يصل إلى فهم دقيق يُمكنه من الاستغناء - إن شاء - عن المقابلات الموجودة إلى اقتراح مكافئ جديد.

4. أهمية البحث الوثائقي في الترجمة والتعليمية:

يُعدُّ اليوم البحثُ الوثائقي - في الجملة - من أكد ضروريات ممارسة الترجمة فضلا عن تعلّمها. خاصة في مرحلة الفهم التي تعتبر الفيصل في نجاح عملية الترجمة من فشلها. فمهما بلغ باع المترجم في الاطلاع فإنه لن يستغني عن البحث ولو اليسير منه. ومن "الخطأ تصوُّر أن الأكثر خبرة منهم في الممارسة قادرون على تجاوزه ببساطة" (Durieux, 1990, p. 669)

ولا تختلف أهمية البحث الوثائقي كثيرا بين نوعي الترجمة (التعليمية والاحترافية). فبالرغم من الفروقات التي بينها أنفا إلا أنهما في نهاية المطاف تلقتان في تقسيم عملية الترجمة إلى مرحلتَي الفهم وإعادة الصياغة. وفي كليتهما يحتاج المترجم إلى التزود من المعلومات والمعارف حتى ينجح في النقل الصحيح الأمين.

ولا فرق بين أنواع النصوص في ضرورة البحث الوثائقي. فعكس ما قد يظنه البعض من أن البحث الوثائقي حكر على النصوص التقنية، فإن التجربة أثبتت أنه مهمٌ حتى مع النصوص الأدبية، حيث تتخللها مظاهرٌ معرفية وثقافية تتطلب المطالعة الحثيثة. فكيف يمكن الاستغناء عن البحث الوثائقي والمترجم "باعتباره حلقة وصل في سلسلة

التواصل لا بد عليه أن يمتلك كل المعارف التي يتوقع المؤلف الأصلي توفرها لدى قرائه. " (Durieux, 1990, p. 671) حتى يتمكن من الفهم أولا ثم إعادة الصياغة ثانية.

5. منهجية البحث الوثائقي في الترجمة:

ينعقد شبه إجماع - حسب اطلاعنا - حول حيز البحث الوثائقي التابع لعملية الترجمة ؛ حيث ينصح المهتمون بالبحث في هذا المجال بتأطير البحث الذي يجريه المترجم، تحضيراً لترجمته، وفقاً للنص وما يحويه من مصطلحات ومفاهيم. أي إنّ البحث لا يكون في موضوع النص إجمالاً بل يقتصر على ما ورد في النص. والغرض من هذا التأطير جليّ لأن المترجم، كما قرّرت 'كريستين دوريو': "ليس مطالباً بالتمكن من موضوع النص أو المجال الذي يندرج في حيزه النص" (Durieux, 1990, p. 670)، وإنما هو مطالب بفك رموزه فهما كي يتسنى له التعبير بوضوح مُفهم.

يظن المترجمون المبتدئون أن البحث المعجمي أنجع وأسرع في إيجاد المكافئات التي يبحثون عنها. فتجدهم يكتفون بالتنقيب عنها في ثنايا المعاجم والقواميس، ثنائية كانت أم أحادية ، والمصادر... وصحيح أن هذه المصادر توفرّ المقابلات جاهزة للاستعمال، غير أن الفخ الذي يقع فيه مستعملوها المبتدئون هو افتقار هذه المصادر لعنصر حاسم ألا وهو السياق. فمع عثورهم على المقابل بسرعة إلا أن عليهم "التحقق منه فيما بعد من ملائمة هذه المقابلات لسياق النص، دون احتساب الوقت الذي يُقضى في محاولة صياغة هذه المصطلحات في جمل ذات معنى" (Durieux, 1990, p. 673). خاصة في حال الترجمة التعليمية التي تُولي الاهتمام البالغ للغة من صياغة وتراكيب ونحو... فالبحث المعجمي مفيد فائدة محدودة إذ لا ينفع الباحث سوى من ناحية المفردات lexique بينما يجمع البحث المفاهيمي الواسع بين المفردات والتراكيب syntaxe. ولا ينبغي أن نُغفل عن مناسبة هذه الفائدة الأخيرة لأهداف الترجمة التعليمية والتي على رأسها تعلم اللغة، بغض النظر عن نجاح الترجمة.

وهنا يُطرح السؤال : متى يتوقف الباحث عن البحث؟ والجواب عنه هو متى أحس الباحث بالفهم فعليه أن يُمسك عنه ليلتفت إلى المرحلة الموالية. لكن متى يُقال إن الباحث قد فهم؟ أجاب عن هذا السؤال اللغوي 'دوبوا' Dubois في قاموسه المشهور موضحاً حدود الفهم : "نقول عن منطوق ما أنه مفهوم عندما يكون رد المخاطب

— في التواصل الذي أنشأه المخاطب — مطابقا لما كان ينتظره هذا الأخير ويكون هذا الرد إما منطوقا آخر أو فعلا" (Dubois, 2002, p. 106).

ففي أيّ اللغتين يكون البحث؟

بما أن أهداف الدرس — كما رأينا آنفا — هي من يتحكم في محتوى الدرس وسيروته، فإن المطالعة تكون أجدى في اللغة المنقول إليها لعدة اعتبارات. أولها أن الترجمة التعليمية مع اهتمامها بالتحقق من فهم الخطاب (شفهيا أو مكتوبا) وهي ما يسمى بكفاءة الفهم بشقيها التلقي والإنتاج، إلا أنها تولي الكفاءة التعبير باللغة الأجنبية، لغة التعلم أكبر قدر من الاهتمام.

ثانيا، المتعلم يُفترض أن يكون متمكنا نسبيا من اللغة الأولى مما يسهل عليه نوعا ما عملية الفهم مقارنة بإعادة الصياغة. وهذا ما عايناه خلال مسيرتنا في التدريس في قسم الفرنسية. فتجد أحوج ما يحتاجه هو الرصيد التعبيري، من المفردات وخاصة التعابير، في مرحلة صياغة النص.

6. مصادر الباحث تحضيراً للترجمة:

تنقسم مصادر البحث الوثائقي بالمعنى الواسع إلى قسمين : الأول يشمل كل وثيقة أنشئت خصيصا للبحث المعجمي كالقواميس والمعاجم والمسارد... والثاني كل وثيقة حررت لغرض آخر غير بيان المصطلح مثل التدريس والبيع والتعليم والإعلام... (Gile, 1994)

فهذا القسم الثاني هو الذي نرى أفضليته لأنه يحرر المترجم من سطوة الاختيارات التي سبقته وتطلق له عنان التفكير والتأمل اللذين يؤديان إلى الفهم البريء. ثم لا بأس بالعودة — بعد الاختيار الأولي في ذهن المترجم — إلى ما اقترحه سابقوه من باب الاستئناس والتأكد والتحقق.

وما يفسر أفضلية البحث في الموسوعات على القواميس أن الأولى "تعطي المعنى في سياقه" (Durieux, 1990, p. 673). بينما تقدم القواميس وإن كانت متخصصة وشاملة "تعريف المفاهيم خارج السياق" (Durieux, 1990, p. 673).

غير أننا نرى أن الأنفع للباحث أكثر من المصدرين السابقين هي النصوص الموازية — أو المشابهة — المختلفة التي تتناول نفس موضوع النص ؛ لأن القواميس والموسوعات إنما هي صياغة أحدهم، أي اجتهد شخصي يكون

في العادة منفردا (عدا تلك التي تصنفها مؤسسات...). فالإقتصار عليها حصراً لمدى النظر. عكس مطالعة النصوص الموازية التي دونها - في اللغتين - أهل الاختصاص في موضوع النص المعالج، فإنها تتيح فرصة الاطلاع على أكبر كم من المصطلحات للمفهوم الواحد، علاوة على فرصة الوقوف على الشائع منها.

ومن جهة أخرى فإن الإقتصار على القواميس والمعاجم يحرم الباحث من إثراء رصيده التراكمي من عبارات وجمل وتعايير اصطلاحية لا يجدها - عادة - إلا في النصوص المحررة من قبل الناطقين بلغة الهدف لغةً أمّا. وهذا لا يعني الاستغناء عن القواميس المتخصصة ولا الموسوعات بل الصحيح الجمع بينها مع التفضيل الذي ذكرناه.

ثم إن هذه النصوص الموازية يكون بعضها أفضل من بعض حسب توفرها على المعايير التي اقترحها جيل (Gile, 1994) وهي: أن تكون محررة في اللغة الأم (أو الأولى) لمحررها؛ أن يكون محررها على درجة عالية من التمكن في مجال الدراسة؛ أن تكون قريبة من نص الترجمة من حيث المكان والزمان، إذ كلما تباعد هذان العنصران الأخيران زادت الغرابة، وبالتالي نقصت الاستفادة من هذه النصوص.

7. تحليل نتائج الدراسة:

1.7. منهجية الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التجريبي فنانة منا بموثوقية نتائجه من جهة، ومناسبته لإشكالية بحثنا التي تستلزم الإجابة عنها وإثبات الفرضية أو نفيها الكشف عن العلاقة بين المسبب والمسبب. ولا يوجد منهج أقدر على ذلك من التجريبي، من جهة أخرى. فالتساؤل الذي نسعى للإجابة عنه يحتاج إلى تجربة تُسلط الضوء على تأثير المتغير المستقل والذي يمثل البحث الوثائقي، في المتغير التابع والذي يمثل جودة الترجمة.

أما فيما يخص تصميم مجموعة التجربة فقد اخترنا "المجموعة الواحدة" أي أنها في آن واحد تجريبية وضابطة. واستبعدنا تصميم المجموعتين بسبب صعوبة التحكم فيهما مقارنة بالمجموعة الواحدة. فطلبتنا من 8 طلاب متمدرسين في السنة الثالثة ليسانس بقسم اللغة الفرنسية بجامعة أم البواقي ترجمة نص من العربية إلى الفرنسية ترجمة أولى في القسم دون الاستعانة بالبحث الوثائقي، عدا النظر في القواميس الأحادية أو الثنائية التي أحضروها معهم لهذا الغرض. وتمثل هذه الترجمة ما يسمى بالقياس القبلي. وينبغي التنبيه إلى أن المجموعة الخاضعة للتجربة تتألف من طلابٍ اُنْتُقُوا بعناية من حيث مستواهم المتقارب ونظرا إلى نتائجهم الجيدة التي سجلوها في مساهمهم الدراسي.

أما التّصّ، فقد وقع اختيارنا على مقال منشور في مجلة إلكترونية، يتسم بلغة لا هي بالبسيطة جدا ولا هي بالمعقدة. لكنه يحوي الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي تحتاج غالبا إلى اطلاع لاستيعابها. وحرصنا على أن يكون موضوعه قريبا من ثقافة اللغة المدروسة (الفرنسية)، حيث يتناول مشكلة الهجرة في فرنسا وتداعياتها السياسية على المهاجرين المقيمين فيها.

أما عن اتجاه الترجمة، ففضلنا أن يكون إلى الفرنسية، لا إلى العربية، باعتبار — كما سبق بيانه — أن الترجمة التعليمية تولي الأهمية أكبر ما تولي إلى تقييم ثم تحسين كفاءة التعبير الكتابي بالدرجة الأولى، دونما أن تُحمل الكفاءات الأخرى بطبيعة الحال.

بعد الترجمة الأولى، منحنا للمترجمين المتعلمين متسعا من الوقت (أربعة أيام) حتى يتسنى لهم إجراء بحث وثائقي حول كل ما يروونه بحاجة إلى البحث قبل أن يعيدوا ترجمة النص نفسه. وهذا ما يسمى بالقياس البعدي للمتغير التابع.

هذا ويجدر بالذكر أن الطلبة الخاضعين لهذه التجربة قد استفادوا في السنة الثانية والثالثة من توجيهات متفرقة حول البحث الوثائقي أثناء عملية الترجمة، مما يسهل — نظريا — عليهم البحث في هذه التجربة. ومن خلال مقارنة نتائج (ترجمات الطلبة) القياسين القبلي والبعدي، تمكنا من الكشف عن الفرق بين أداء المتعلمين قبل وبعد التجربة.

2.7. الاستبانة:

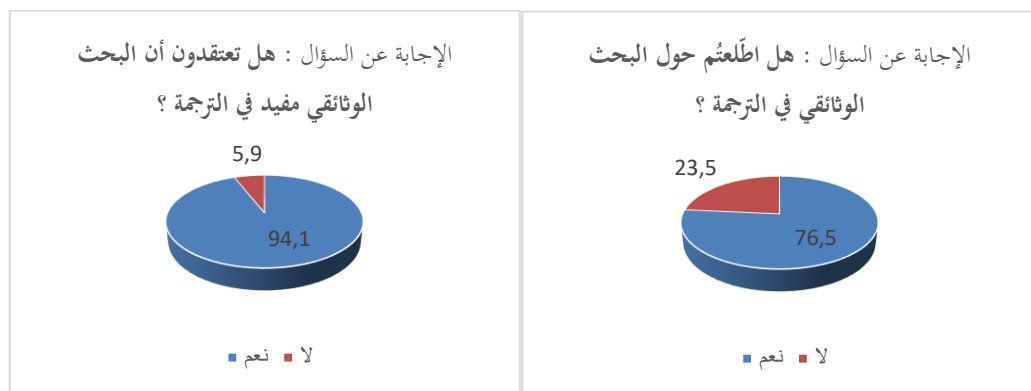
أجرينا، كما سلف وأن ذكرنا، استطلاعا لواقع البحث الوثائقي في درس الترجمة التعليمية في قسم اللغة الفرنسية لغة أجنبية (FLE). والهدف من ورائه هو الوقوف على واقع البحث وجودا وعدما من جهة ومدى وعي المدرسين بأهميته وأثره في جودة الترجمة ومنه في جودة التكوين عموما. اخترنا القيام باستبانة وجهت إلى أساتذة الترجمة على مستوى أقسام اللغة الفرنسية في 9 جامعات وطنية. وتحصلنا على عينة مكونة من 20 إجابة نرى أنها كافية نظرا لنسبتها المرتفعة والتي نقدرها بأعلى من 10%. وتتألف الاستبانة، علاوة عن المعلومات الشخصية والمهنية، من شقين، يتناول الأول واقع المدرس وطريقة التدريس التي يتبعها. بينما يعالج الشق الثاني واقع عملية الترجمة والمتعلم.

وقد جاءت أهم النتائج مُلَحَّصَة كما يلي:

يملك أكثر من نصف المشاركين (58,8%) خبرة لا بأس بها حيث تتراوح بين 5 و 10 لدى 23,5% وتزيد عن 10 سنوات لدى 35,3% منهم في تدريس مادة الترجمة على مستوى قسم اللغة الفرنسية. مما يجعلنا نتوقع أن يكونوا على اطلاع بمسألة البحث الوثائقي نظرا لممارستهم الطويلة التي تفرض - منطقيا - ملاحظة دقيقة لصعوبات الترجمة لدى المتعلمين. وهو ما تأكدنا بالفعل عند إجاباتهم عن السؤال حول "اطلاعهم حول البحث الوثائقي" حيث كانت الإجابة بنعم عند الأغلبية 76,5% مؤكدين بنسبة 94,1% على فائدة البحث الوثائقي في الترجمة.

الشكل: 1

الشكل: 2



المصدر: تحليل نتائج الاستبانة

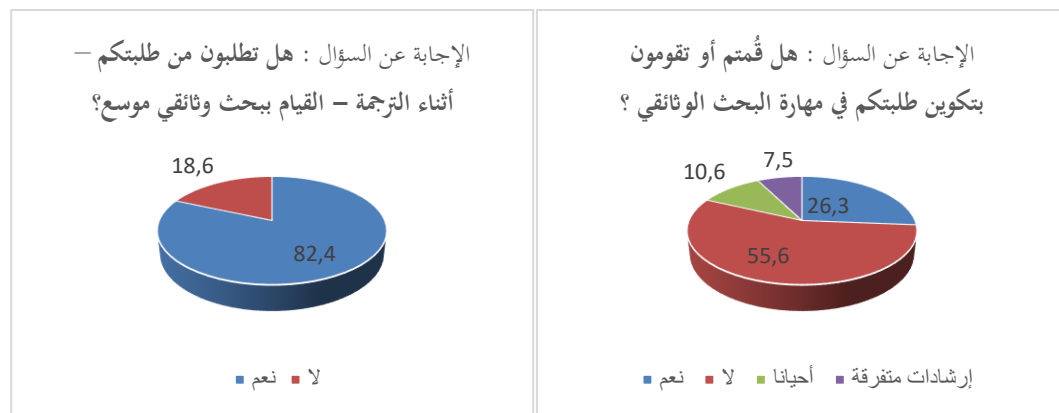
غير أن بلوغ نسبة الذين أجابوا بأنهم لم يطلعوا على البحث الوثائقي (23,5%) يطرح علامة استفهام كبيرة حول الأسباب التي تقف خلف ذلك. سيّما وأنهم مع عدم اطلاعهم يرون أنه مفيد في الترجمة (94,1%).

أما حول الممارسة، فأكد أغلب المشاركين 82,4% (الشكل 4) أنهم يطلبون من متعلميهم إجراء بحث وثائقي واسع يشمل المصطلحات والمفاهيم. بينما يقتصر الباقي على البحث المعجمي.

ومن ناحية أخرى، كشفت الاستبانة عن نسبة ليست قليلة (55,6%) من الأساتذة الذين لا يُكوّنون طلبتهم في البحث الوثائقي أثناء الترجمة. في حين يقوم عدد معتبر بالتكوين. بينما تتوزع النسبة الباقية على من يسدي توجيهات متفرقة حول البحث الوثائقي (الشكل 3). ومع ذلك يرى أغلبهم 91,6% (الشكل 5) أن البحث يحسن من جودة الترجمة لدى متعلميهم.

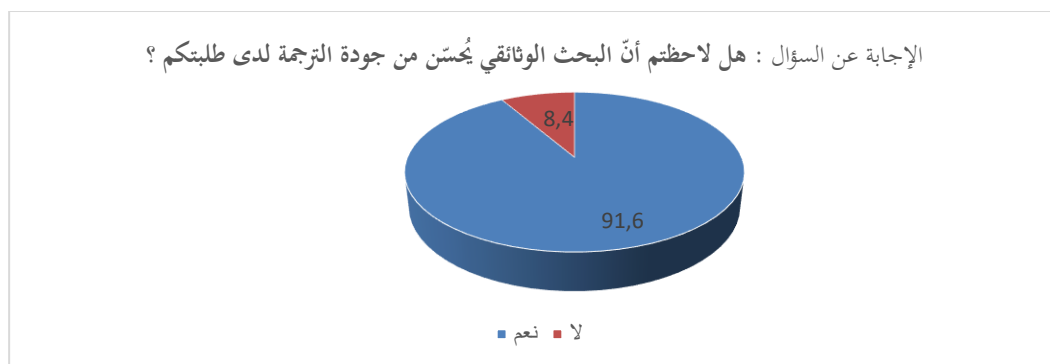
الشكل: 3

الشكل: 4



المصدر: تحليل نتائج الاستبانة

الشكل: 5



المصدر: تحليل نتائج الاستبانة

وفي نهاية الاستبانة طلبنا من المشاركين أن يذكروا اقتراحاتهم لتمكين المتعلمين من البحث الوثائقي، فتراوحت إجاباتهم بين ضرورة تحسيس الطلبة بأهمية البحث الوثائقي والحرص على التدريب المكثف المستمر واتباع منهجية منتظمة.

3.7. نتائج الدراسة التطبيقية:

بعد ذكر ظروف إجراء التجربة وعرض نتائج الاستبانة، نمرّ إلى بيان تحليل المدونة المكونة من ترجمتين. حيث قمنا بإحصاء الأجزاء (ونسُميها "عناصر") التي لوحظ تغير ترجمتها من النسخة الأولى إلى الثانية، تغيّرا مُعتبراً، وكلها إلى الأحسن. أي أننا سنغض الطرف عن باقي التغيرات غير المُعتبرة والتي لا تؤثر في المعنى، إذ أنّها تحدّث عند كل

ترجمة ثانية أو مراجعة بغض النظر عما إن أجرى صاحبها بحثا أم لا. بل حتى أُلْحِذُ المترجمين لا يسلم من التغيير والتبديل إذا ما راجع ترجمته الأولى.

وقد قسمنا تحليلنا إلى قسمين : المستوى المعجمي *lexique* والمستوى التراكبي *syntaxe*. أما المعجمي فقسمنا العناصر المُعَيَّرَة إلى ثلاثة أقسام من حيث المقابل المقترح في الترجمة الأولى : مقابل مُعَيَّر للمعنى (خطأ) ومقابل صحيح غير مستعمل ومقابل مستعمل غير شائع. ويمكننا هذا التقسيم من فحص أثر البحث الوثائقي في مرحلتي الترجمة الرئيسيتين ألا وهما الفهم وإعادة الصياغة. وأما التراكبي فاكشفنا بالاستشهاد ببعض النماذج التي تبين مدى تغير التعبيرات والجمل تركيبيا ونحويا من الترجمة الأولى إلى الثانية.

1.3.7. المستوى المعجمي :

إحصاء التغييرات المعجمية (المفردات)

الجدول 1 :

رقم	العبارة أو الكلمة	المترجم	الترجمة الأولى	الترجمة الثانية
1	الاستبدال الكبير	1	Le grand changement**	Le grand remplacement
		4	La grande substitution**	
		5	Le grand changement**	
		7	Le grand échange ment ***	
2	معاداة الأجانب	4	Hostilité aux étrangers**	Xénophobie
		5	Hostilité étrangers**	
		7	Inimiter les étrangers**	
3	التيارات القومية	1	Courants nationaux***	Courants nationalistes
		3	Courants populaires***	
		5	Courants nationaux***	
4	المعادية للسامية	3	Contre les Juifs**	Antisémites

	Antisémitiques**	4		
	Contre le sémisme***	7		
Néo-nazis	Nouveaux nazis*	1	النازيون الجدد	5
	Nouveaux nazistes*	3		
	Nouveaux nazis*	4		
	Nouvelles nazis*	5		
	Nouveaux Nazis*	7		
	Nouveaux nazis*	8		
Post-moderne	Après la modernité*	1	ما بعد الحداثة	6
	Après deux incidents***	2		
	Après (omission)***	3		
	Humain nouveau***	5		
	Après moderne*	6		
	Après la nouveauté***	7		
Exil des Juifs	Déni des Juifs***	1	نفي اليهود	7
	Nier les Juifs***	2		
	Arrivée des Juifs***	5		
	Banissement des Juifs***	7		
Papiers du Maréchal Pétain	Journaux du Marichal Butun***	3	صحائف "المارشال بيتان"	8
	Journaux de Marichelle pitaine***	5		
	Journaux "le Maréchale Pétin"***	6		
	Journaux du Marichal Pitan***	7		

L'abécédaire de l'innocence	Les initiales de l'innocence***	4	كتاب "أبجديات البراءة"	9
	Alphabétiques El Baraa***	7		
L'extrême droite	La droite radicale*	4	اليمين المتطرف	10
	L'extrémisme***	7		

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

• التعليق :

يحمل الجدول أعلاه إحصاء للمفردات والمصطلحات، وهي 10 عناصر، التي طالها التغيير في الترجمة الثانية والتي استعان فيها المترجمون المتعلمون بالبحث الوثائقي. وقد تباينت نسبة الخطأ فيها من ترجمة إلى أخرى. فمنها ما يتكرر في معظم الترجمات مثل العناصر رقم 5 (النازيون الجدد) ورقم 6 (ما بعد الحداثة) فقد أخفق 6 مترجمين في إيجاد مكافئ صحيح قبل البحث، مع تقارب المقابلات المقترحة. ومنها ما لم يرد سوى مرتين مثل العنصر رقم 10 (اليمين المتطرف).

أما شدة "الخطأ" فجاءت كذلك متباينة، حيث نجد منها ما كان فادحا مؤثرا في المعنى (الرمز***) كحال العنصر رقم 7 (نفي اليهود) حيث ترجمه الطالب رقم 5 بمعنى عكسي تماما بعبارة (arrivée des Juifs). والصحيح (exil des Juifs). ومنها ما هو كان صحيحا لكنه غير مستعمل (الرمز***)، كحال العنصر رقم 6 (ما بعد الحداثة) حيث اقترح المترجم رقم 6 المقابل (après-moderne)، والصحيح المستعمل (postmoderne). ومنها ما كان مستعملا لكنه ليس الشائع في السياق (الرمز*)، كحال العنصر رقم 5 (النازيون الجدد) حيث اقترح المترجمون رقم 1 و4 و7 و8 عبارة صحيحة ومتداولة (les nouveaux nazis) غير أن الأكثر شيوعا في هذا السياق هو (néo-nazis).

- تقسيم العناصر المعجمية حسب مستوى ملائمة المقابل :

• القسم الأول : مقابل مُغَيَّر للمعنى (خطأ)

الجدول 2 :

المقابلة الثاني	المقابلة الأول	العبرة أو المصطلح
Le grand remplacement	Le grand échange****	الاستبدال الكبير
Courants nationalistes	Courants nationaux**** Courants populaires****	التيارات القومية
Antisémites	Contre le sémisme****	المعادية للسامية
Post-moderne	Après deux incidents**** Après (omission)**** Humain nouveau**** Après la nouveauté****	ما بعد الحداثة
Exil des Juifs	Déni des Juifs**** Nier les Juifs**** Bannissement des Juifs**** Arrivée des Juifs****	نفي اليهود
Papiers du Maréchal Pétain	Journaux du Marichal Butun****	صحائف "المارشال بيتان"
L'abécédaire de l'innocence	Les initiales de l'innocence*** Alphabétiques El Baraa****	كتاب "أبجديات البراءة"
L'extrême droite	L'extrémisme****	اليمن المتطرف

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

نحصى تحت هذا القسم 16 مقابلا طالت 8 عناصر، كلها مُعَيَّرَةٌ للمعنى وترقى لأن تكون أخطاءً. أما منشأ هذه الأخطاء فيرجع جلها - حسب تقديرنا - إلى عدم أو سوء فهم المصطلحات والمفاهيم التي تحملها في النص الأصل. ونستبعد أن يكون السبب افتقار رصيدهم اللغوي من المقابل الصحيح، مما ألجأهم إلى الترجمة الحرفية. لكنهم تمكنوا - المترجمون - جميعهم من إيجاد المكافئ المناسب بعد البحث الوثائقي في جميع العناصر. مما يبين أن البحث له الأثر البالغ في المرحلة الأولى من الترجمة والتي تتمثل في الفهم.

• القسم الثاني : مقابلٌ صحيح غير مستعمل

الجدول 3 :

المقابل الثاني	المقابل الأول	العبارة أو المصطلح
Le grand remplacement	Le grand changement** La grande substitution**	الاستبدال الكبير
Xénophobie	Hostilité aux étrangers** Inimenter les étrangers**	معاداة الأجانب
Antisémites	Contre les Juifs** Antisémitiques**	المعادية للسامية

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

نحصى تحت هذا القسم 6 مقابلات سليمة من حيث اللغة، أي خارج السياق. لكنها غير مستعملة في سياق النص الذي وردت فيه. ويعود السبب في هذه الاختيارات إلى ضعف رصيد المترجم. فمن خلال هذه المقابلات يظهر جليا أنه فهم المراد من هذه المصطلحات لكنه عجز في الترجمة الأولى عن الإتيان بالمكافئ المناسب وفق السياق. أما في الترجمة بعد البحث استطاع كل المترجمين العثور على المكافئ المستعمل والشائع في مثل هذه السياقات. وهو ما يؤكد تأثير البحث في مرحلة إعادة الصياغة.

• القسم الثالث: مقابل مستعمل غير شائع

الجدول 4 :

المقابل الثاني	المقابل الأول	العبارة أو المصطلح
Néo-nazis	Nouveaux nazis*	النازيون الجدد
L'extrême droite	La droite radicale*	اليمين المتطرف

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

في القسم الخاص بالمقابلات الصحيحة المستعملة غير الشائعة، نحصى مقابلين اثنين فقط. ويعود السبب أيضا إلى ضعف الرصيد المصطلحي لدى المترجمين المتعلمين. أي أن الصعوبة لم تكن على مستوى الفهم، إذ لو

كانت كذلك لما وقع اختيارهم على المقابل الصحيح. وأثبتت الترجمة الثانية أن البحث الوثائقي ذو أثر جلي في المرحلة الثانية من الترجمة ألا وهي إعادة الصياغة.

2.3.7. المستوى التراكمي (النحوي):

نستعرض في هذا المستوى بعض النماذج عن تغيير عناصر نحوية أو تراكيبية syntaxiques من الترجمة الأولى إلى الثانية. فمن خلال هذا المستوى من التحليل يمكننا قياس أثر البحث الوثائقي في جودة التعبير الكتابي الذي يعد أهم هدف من أهداف الترجمة التعليمية في أقسام اللغات الأجنبية. ويجدر التنبيه إلى أننا سننقل العناصر كما وردت حرفيا بما فيها من أخطاء (نشير إليها بالرمز *) إملائية وكذا كتابة الأسماء العلم حيث سنغفلها ونكتفي بما يندرج تحت مسمى التركيب والنحو فحسب. وننبه أيضا إلى استعمالنا لفظة "جملة" عن بعض أجزاء النص "تجوزا" وإلا فالجملة لا بد لها من بنية محددة كي تسمى كذلك.

- النموذج الأول :

الجدول 5 :

العنصر النحوي :		الجملة
ويذكر "نيكولا لوبور"، المؤرخ المتخصص في اليمين المتطرف، أن الدوائر النازية طوّرت منذ نهاية الحرب الكونية الثانية فكرة الاستبدال الديموغرافي بإضافة عنصر المؤامرة		
الأولى : قبل البحث	الثانية : بعد البحث	الترجمة (المترجم رقم 1)
"Nicola Loubour" l'historien spécialiste dans* l'extrême droite, c'est* les cercles nazistes* à été développé* depuis la fin de la deuxièmes guère mondiale l'idée de la* changement dimographique avec en plus l'élément complotiste.	"Nicolas Le Port", historien spécialiste de l'extrême droite, constate que depuis la fin de la Seconde Guerre mondiale, les milieux nazis ont développé l'idée d'un remplacement démographique en y ajoutant un élément complotiste.	

في هذه الجملة التي أخطأ المترجم فيها كتابة اسم العلم حتى بعد البحث، وهذا كما أسلفنا نُعرض عنه إلى ما يهمنا وهو المستوى النحوي، نلاحظ عدة أخطاء هي: بداية الجملة التي كان ينبغي أن تكون بعبارة من قبيل (selon, d'après...) إذا ما أردنا الاحتفاظ بهذه البنية ؛ استعمال أداة الربط (dans) بدل (de) (مع أنها

تستعمل لكن في سياق آخر) ؛ الاستهلال بلفظة (c'est) بدل (ce sont) ؛ التصريف الخاطئ لفعل (à été à développé) ؛ استعمال أداة الربط (de la) بدل (du).

وعند ملاحظة الترجمة الثانية نجد أن جميع هذه الأخطاء قد صححت وجاءت صياغة الجملة سليمة.

- النموذج الثاني :

الجدول 6 :

العنصر النحوي: الجملة		ولكنها [الفكرة] انتشرت على نطاق واسع بعد الحرب العالمية الثانية في "أوساط التآزبين الجدد"
الترجمة (المترجم رقم 3)	الأولى : قبل البحث	الثانية : بعد البحث
	Mais elle est très connu* avec* une façon tres larges apré la deuxièmes guères mondiale dans "les millieux de* nouveaux nazistes".	Mais elle s'est largement répandue après la Seconde guerre mondiale "parmi les néo-nazis".

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

نلاحظ من خلال عرض هذا النص المأخوذ من ترجمة الطالب رقم 3 أن محاولته الأولى أظهرت أنه قد فهم المعنى وسعى إلى نقله سليما إلا أنه لم يتمكن من صياغة الجملة صياغة نحوية صحيحة تحفظ المعنى. فقد جانب الصواب في اختيار الفعل (connu)، ثم أخطأ في عبارة (avec une façon)، ثم أخطأ أيضا في استعمال أداة الربط (de). بينما استدرك كل هذه الأخطاء في الترجمة الثانية، مما يدل على استفادته من البحث فاستطاع أن يصحح قدر الإمكان، فجاءت جملته سليمة.

- النموذج الثالث :

الجدول 7 :

العنصر النحوي : الجملة		[...] لبناء "إنسان ما بعد حداثي، فاقد للجذور"
الترجمة (المترجم رقم 5)	الأولى : قبل البحث	الثانية : بعد البحث

pour construire « une société humaine postmoderne », étant dépourvu de racines.	pour inventé* un être humain nouveau, perdu* pour* ses racines.	
---	---	--

المصدر: تحليل ترجمات الطلبة

في هذا النص المأخوذ من ترجمة الطالب رقم 5، نخصي خطأين نخوين هما تصريف الفعل (inventé) والثاني في صياغة عبارة (perdu pour ses racines) الغامضة، مما أضفى على الجملة كلها إبهاما في المعنى. ونلاحظ أنه استدرك هذين الخطأين في الترجمة الثانية مع تغيير الألفاظ الذي لا يهمنا بقدر ما يهمنا التركيب النحوي الصحيح.

8. الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة التي استهللناها بطرح تساؤلات حول البحث الوثائقي وعلاقته بالترجمة التعليمية، والتي استعنا فيها بإجراء استبانة، موجهة لمدرسي الترجمة، نستطلع فيها واقع هذه الممارسة في درس الترجمة التعليمية في قسم الفرنسية، ثم أتبعناها بتجربة ميدانية، خلصنا أولا إلى أن أغلب الأساتذة واعون بأهمية وضرة إجراء البحث الوثائقي أثناء عملية الترجمة، ويُمَرِّثُونَ طلابهم عليه. إلا أن قلة منهم فقط (27,8%) من يحرص على تكوينهم في منهجية البحث الوثائقي تكوينا منتظما. فيما يُغفل أكثرهم (55,6%) هذا التكوين. ويكتفي الباقي بالتوجيهات المتفرقة.

ومن خلال تحليل المدونة توصلنا إلى أن البحث الوثائقي قد أثر تأثيرا معتبرا وملموسا في جودة الترجمات؛ حيث تم تدارك جميع الأخطاء المتعلقة بالمفردات والمصطلحات في النسخة الثانية لدى كل المترجمين. وظهر بذلك الأثر الإيجابي للبحث على المستوى المعجمي أثناء عملية الترجمة. ولم يقتصر الأثر في المستوى الأول فحسب، بل تعداه إلى المستوى التراكبي، حيث استدركت جل الأخطاء التي طالت التعابير في النسخة الثانية لدى جميع المترجمين. وهذا ما يحمل إجابة مباشرة عن التساؤل الفرعي الذي طرحناه في المقدمة والذي مفاده : "هل يقتصر أثر البحث الوثائقي في الترجمة التعليمية فقط في مرحلة الفهم أم إنه يتعدى إلى مرحلة إعادة الصياغة؟" والجواب بالإيجاب، نعم يشمل الشّقّين معاً، خاصة في إعادة الصياغة حيث ظهر جليا تحسن التعبير بعد البحث.

ومنه فيمكن الجزم بأن البحث الوثائقي في إطار الترجمة التعليمية ممارسة مفيدة جدا في اكتساب اللغة الأجنبية على المستويين المعجمي والنحوي. فكما أن المترجم المتعلم يثري رصيده المعجمي بالمفردات والمصطلحات

التي يصادفها أثناء البحث والمطالعة فإنه يثري أيضا رصيده التراكمي من خلال المرور على العبارات والجمل الجاهزة من جهة، ومن خلال تحسين فهمه للنظام النحوي للغة المتعلمة، من جهة أخرى، خاصة إذا كانت الترجمة إلى اللغة الأجنبية. وهذا هو الجواب على الإشكالية التي طرحت في مستهل هذه الدراسة.

لذا ينبغي على المشتغلين بتدريس الترجمة التعليمية أن ينتبهوا إلى أهمية البحث الوثائقي وأن يخصصوا له نصيبا أوفر في برامجهم وأن يعتنوا بتكوين الطلبة فيه وفي منهجيته وتحسيسهم بدوره الفعال في الترجمة ابتداء وتعلم اللغة انتهاء. ولا شك أن نفعه يصب أولا وآخرا في تحسين التكوين للطلاب سواء في مجاله الذي يدرسه (اللغة وغيرها) أو من ناحية ثقافته العامة.

المراجع:

- مجمع اللغة العربية. (2004). القاهرة. المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية.
- أبو بكر عيادي. (1 5, 2022). الاستبدال الكبير. تم الاسترداد من مجلة الجديد: <https://www.aljadedmagazine.com/الاستبدال-الكبير>
- Delisle, J. (1980). L'analyse du discours comme méthode de traduction. Ottawa: Université d'Ottawa.
- Delisle, J. (1999). Terminologie de la traduction. John Benjamins Publishing Company.
- Durieux, C. (2005). L'enseignement de la traduction : enjeux et démarches. Meta, pp. 36-47.
- Gile, D. (1994). Les outils documentaires du traducteur. Palimpsestes, 73-89.
- Durieux, C. (1990). La recherche documentaire en traduction technique : conditions nécessaires et suffisantes. Meta, 669-675.
- Dubois, J. (2002). Dictionnaire de linguistique. Paris: Larousse.